(١)

الانسان الاخير

لسير قطب

صحا ذات يوم حين تصحو البواكرُ ... وتستيقظ الدنيا ، وتجلو الدياجر
ويشرق وجه الصبح في غمرة الدجى ... كما تشرق الآمال واليأس قاهر
وتضطرب الانفاس خفضها الكرى ... وتخفق ارواح ، وتذكو مشاعر
وحين يعج الكون بالصوت والصدى ... وبالكدح تزجيه المنى والخواطر
وبالصرخة الموجاء ، والضحكة التي ... يضج بها الأحياء ، والدهر ساخر !

***

ولكنهُ لم يلف للكون نأمة ... تنم على حيٍّ ، ولم يهف خاطر
ففي نفسه ما يشبه الموت سكرة ... ومن حوله موت تثنه المقابر
جلالٌ كأن الله أطلعَ وجهه ... عليه ، فقرّت في النفوس الضمائر
وصمتٌ فما في الكون صوت ولا صدى ... ولا خفقة يُحيي بها الكون شاعر
فأدرك في اعماقه عن بديهة ... نهاية ما صارت اليه المصائر !

***

وما همّ بالتنقيب عن اي صاحب ... ففي نفسه يأس ، من النفس صادر
ولكنه القى بها عبرَ نظرةٍ ... على الكونِ والأيام وهي دوائر
ركام واشلاء وأطلال نعمةٍ ... وبؤسٍ ، وشتى ما حوته الأداهر
وفي نفسه من مثلها كل ذرّة ... نهاتيك اشلاء ، وهذي خواطر !
تجمّع فيها ما تفرّق في الورى ... وما ضمنت تلك السنون الغوابر
خلاصة اعمار ، وشتى تجارب ... وجمع اشواق بها الكون حائر

***

وأوغل في إطراقةٍ ملؤها الأسى ... فرّت عليه الذكريات العوابر
تحث خطاها موكباً إثر موكبٍ ... وقد جاورت فيها المآسي البشائر
وأقبلت الآمال واليأس حولها ... تمزقها انيابه والاظافر
وجمّع فيها الخير والشرّ رابطٌ ... من النفس مشدود إليها مخاصر

---

(١) من ديوان تحت الطبع بمصر اول يناير

وشتى عبادات ، وشتى عقائد يؤلفها الايمان وهي نوافر[1]
وفيها من المجهول سرٌّ وروعة ورغبة محروم وخوفٌ مساورُ
وقد كان في المجهول مطمح كاشف تحجبه عن طالبيه الستائر
فيا ليته يدري بما خلف ستره فيختم سفر الناس في الارض ظافر[2]

***

وعادت له الآمال اذ جدَّ مطمح يُبرجّي وأذكاه الخيال المغامر
لعلَّ وراء الكون مفتاحَ لغزه وطلسمَ ما ضمت عليه السرائر
وما هي الاَّ ومضة تكشف الدجى ويخلع هذا الجسم ، والجسم جائرُ
ولولا موانيق الحياة تشده اليها ، لأمضى عزمه وهو صابر
وخلّف هذا الجسم للموت والبلى وأشرق روحاً حيث تسمو البصائر

***

وعاوده حب الحياة لذاتها وقد اجفلت تلك النوازي الكوافر[3]
وهاجت به الاطماع حبَّ امتلاكها له وحده والناس ميتٌ ودائر !
فعاد الى الدنيا العريضة مالكاً ولا من يناديه ، ولا من يشاطر
ولكنه لم يخطب ملكه الذي تحمّض لا يسعى به او يغامر
وما فيه من كدٍّ ، ولا من تسابق ولا سابقٌ في الكادحين وقاصر
وليس يطيب العيش إلاَّ تزاحماً فيرتع مجدودٌ ويخسر خاسر

***

هنالك دوّت في السماكين صيحةٌ دعاه لعزرائيل والكون سادر
«برمت بهذا الكون همدان موحشاً برمت بملك ربه فيه خاسر»
«فهيا اذن الموت اروح رحلة لتكشف استارٌ ويهدأ ثائر»

***

وفيما يعاني سكرة الموت رفرفت الى مسمعيه هاتفات سواحر
«هو السر : ان تنهضوا الى السر لهفةً وان تشزروا الآ في بما هو حاضر»!

(١) مختلف العبادات والعقائد المتناقضة تجتمع عند عاطفة الايمان بالمجهول رغبة او رهبة (٢) ظافر بالسر الذي يبعث عنه الاحياء جميعاً فيما وراء المنظور (٣) النوازي الكوافر جمع نازية كافرة وهي التي كفرت بالحياة في نفسه ودعته ان يخلع الجسم